Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المـوتُ فى غِـشْيـانـه وطُـروقـهِ والمـوتُ كـلُّ المـوت أن لا يُـطْرَقـا

وهو يستنهض الصحفيين والشباب فى القصيدة أن يثوروا ضدّ العدو الباغى وما يريد من الخَرس لألسنتهم بينما مصر تُنْتَهك أشدّ انتهاك، ويطلب إليهم الحذر فى الطريق فإنه وعـر ملىء بـالفخاخ، ولا يلبث أن يحتـد ثائـرًا، داعيا إلى اقتحام هذا الطريق مهما كان الموت فيه بالمرصاد، حتى يتخلّص الوطن من هذا الاستعباد.

ونمضى مع حافظ إلى سنة ١٩١١ فإذا ضيق ذات يده يضطر الشاعر الباسل للاحتباس وراء قضبان وظيفة بدار الكتب المصرية، ويخفت زئيرُه الثائر ضدّ الإنجليز إلا قليلاً. وتنشب ثورتنا الوطنية سنة ١٩١٩ ويعود إلى الأسد الهصور الرابض فى الدار غير قليل من زئيره. وتنظّم السيدات المصريات بقيادة صفية زغلول مظاهرة مطالباتٍ بحقوق مصر المشروعة فى الحرية والاستقلال وتصدّى لهن جنود المحتل الطاغى، فيثور حافظ لتلك المعركة الباغية، وينظم أنشودة وطنية حماسية ملتهبة، يملؤها بالتهكم على الإنجليز والسخرية بهم سخرية مسمومة قاتلة . ويطبعها الشباب فى منشورات، ويذيعونها فى تلك الثورة لإلهاب الحماسة فى نفوس التائرين حتى يعصفوا بالإنجليز عصفًا. وكان عدلى قد ذهب سنة ١٩٢١ إلى لندن لمفاوضة الإنجليز وأخفقت مفاوضته، وعاد فأقيم له حفل تكريم، ألقى فيه حافظ آيته بل فريدته الوطنية الرائعة:

وقفَ الخلقُ ينـظرون جميعًـا كيف أَبْنى قواعدَ المَجْد وَحْدى

وفيها يتحدث بلسان مصر عن مجدها القديم فى عهد الفراعنة، مفاخرًا بقوّتها حينئذ وبحضارتها وعلمها وشعرها وتلمذة أثينا وروما لها، ويقول على لسانها وقد أوشكت أن تنال استقلالها، إنها حرة كسرت قيودها، وإنها مجد الشرق وعزّه، وتفخر برجالها الأباة الأعزاء الذين يفدونها بالمهج والأرواح. ويتأهب سعد زغلول لمفاوضة الإنجليز سنة ١٩٢٤ فينشده من قصيدة طويلة:

فاوضْ فخَلْفَك أمةٌ قد أقسمتْ أن لا تنامَ وفى البلاد دَخِيلُ
عُزْلٌ ولكنْ فى الجهاد ضراغمٌ لا الجيشُ يُفْزِعها ولا الأسطولُ